

في رسم ملامح الألم .. الاكرد الفيليين جزء من العراق الموحد

ينتمي الفيلبيون لقبائل (اللور)، وهي قبائل كبيرة تسكن جبال زاغروس في المنطقة الممتدة بين العراق وايران، وبالتحديد ما بين الجهة المقابلة لمحافظة العمارة وحتى حلبجة والسليمانية، وتنقسم هذه القبائل الى أربعة أقسام هي اللور الصغير، واللور الكبير، والبختياري، واللك، وهم أحفاد الكاساي، واللولو، والكوتي، أو الكوتيين، الذين أشتهروا بعلاقتهم مع السومريين والآكديين.

ورغم ان ايران تنقسم قوميا وجغرافيا الى تسعة أقاليم، منها اقليم كردستان، وعاصمته سنندج، فان (اللور) يعيشون في أقليمهم الجغرافي الذي يسمى باسمهم، وهو (لورستان) وعاصمته (كرمنشاه)، الا ان قبائل اللور الصغير والتي هي كبيرة من الناحية العددية إذ تضم بطونا شهيرة، كانت تعيش في حالة ترحال دائم، ثم استوطنت العراق منذ قرون، او لا بسبب إتمائها للمذهب الجعفري الشيعي، وثانيا لدخولها في صراعات وثورات وتمردات ضد الدولة الفارسية وحكم شاهنشاهاته، فتدخلت هذه القبائل فامتزجت في نسيج المجتمع العراقي، منذ قرون عديدة، فسكنوا بغداد ووسط وجنوب العراق، فلا تخلو اية مدينة عراقية في الوسط والجنوب من أحياء الأكراد الفيلية. شكل الفيلبيون شريحة مهمة في المجتمع العراقي عامة، والبغدادي خاصة، وكانت لهم إسهاماتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولكونهم من الطائفة الشيعية فان المجتمع العراقي العربي احتضنهم بحب، كما ولكونهم يتقنون العربية، ولكونهم كانوا يتعلمون في المدارس العربية، فان الفوارق القومية لم تكن جلية وواضحة، بل ولكون معظم متقفيهم كانوا منتمين للحزب الشيوعي العراقي، المعروف بأهميته، فان الجانب القومي لديهم كان رخوا، رغم ان الثورة الكوردية التحررية في كردستان العراق كانت تضم ايضا عناصر قيادية من الكورد الفيلبيين والكل يعرف الشهيدة البطلة الفيلية ليلي قاسم ورفاقها الأبطال، الا ان بروزهم في الحزب الشيوعي العراقي كان واضحا، وليس سرا ان القائد الشيوعي العراقي السابق د. عزيز الحاج فيلي، وان الكثير من قادة الحزب وعناصره القيادية وشهادته أمثال ستار خضير ومحمد كريم كانوا من الفيلبيين.

مشكلة الكورد الفيلبيين بدأت مع تأسيس الدولة العراقية التي بنيت على اساس طائفي اصلا، إذ كانت تفرق بين العراقيين من التبعية العثمانية والعراقيين من التبعية الايرانية، وكلا التبعيتين غير عربية!! ولم يكن لهذا الأمر تبعاته السلبية في عهد ثورة تموز، وانما بعد انقلاب شباط الدموي، إذ أخذ التمييز بين العراقيين على اساس انحدراتهم يشكل امرا حاسما في الحصول على الوظيفة او القبول في الجامعة، او اي امر مهم إجتماعيا، مما اظطر الكثير من الفيلبيين الى تعريب أسمائهم واسماء قبائلهم، والدخول في أحلاف مع العشائر العربية المجاورة. في زمن الطغيان البعثي أسفرت السلطة عن وجهها القبيح وهجمت بعنف على الفيلبيين، وكان لهذه الهجمة جذور إقتصادية وسياسية وطائفية، فقد كان التجار الفيلبيون يهيمنون على السوق التجارية العراقية، لاسيما أسواق الشورجة الشهيرة، ولم يكن هذا الأمر ليعجب الطبقة الطفيلية الجديدة من أبناء العوجة والدور وتكريت، الذين كانوا قد استلموا السلطة توا، ومع تدفق عائدات النفط عليهم، لاسيما بعد التأميم، ومع تشكيل أجهزة القمع، والدخول مع الثورة الكوردية في مفاوضات آذار الشهيرة، بدأت الهجمة على الفيلبيين، لا سيما وانهم كانوا الأغلبية في غرفة تجارة بغداد، وكانوا يشكلون لوبيا إقتصاديا للثورة الكوردية، حيث كانوا يدعمونها بالمال.

من الناحية السياسية، كان الفيلبيون يرفدون الحركات السياسية التقدمية واليسارية، والشيوعية بالتحديد، بالشباب، والأعضاء من النساء والرجال، بل المعلومات تشير الى ان أم الزعيم الشهيد الراحل عبد الكريم قاسم كانت فيلية، وكان هذا ايضا سببا للحدق عليهم، لا سيما وأن سكان شارع الكفاح والفضل وقنبرعلي والشيخ عمر في الرصافة وسكان الشوكة، والجعفر والحريه والوشاش في الكرخ ظلوا يقاومون الانقلابيين البعثيين بالسلاح الى آخر لحظة، في العام 63، ومثلما كان الفيلبيون يرفدون الحركة اليسارية بالشباب، فانهم كانوا يرفدون الحركات الإسلامية الثورية بالشباب المناضل ايضا.

أما من الناحية الطائفية، فلم يخف الفيلبيون حبهم وولائهم لآل بيت محمد ولعلي وابنائه، بل كانت مواكبهم الحسينية جرارة وكريمة، كما دعموا تأسيس كلية أصول الدين في الكرادة الشرقية ببغداد، وهذا ما كان يميز السلطة الطائفية غيظا منهم، اما من الناحية الثقافية فقد كانت لهم إسهاماتهم الواضحة في الثقافة العراقية، رغم انهم كما أوضحت لم يكن الهاجس القومي يقلقهم، فعراقيتهم اقوى من اي شيء، وربما كان خافيا على الكثيرين من العراقيين بأن العديد من الأسماء الثقافية والفكرية العراقية هي من الكورد الفيلبيين دون ان يصرح أي منهم علنا بذلك، فمثلا: في مجال المسرح نجد أسماء مثل جعفرعلي وابراهيم جلال وفي مجال السينما نجد عبد الجبار ولي، وفي مجال التاريخ نجد د. حسين قاسم العزيز وفي الموسيقى نجد اسم المعني القديم حسن خيوكة والموسيقار المعروف سلمان شكر والفنان جعفرحسن وكوكب حمزة ورضا علي ونصير شمة وكريم عاشور وجليل جوزي، وفي مجال الشعر والأدب نجد اسم

جليل حيدر ومحي الدين زنكنة وعبد المجيد لطفي وجلال وردة وحسن زكبادي وكريم ناصر ود. مؤيد عبد الستار وفؤاد ميرزا، وفي مجال الرياضة الاخوان اسد (محمود وصمد وصاحب) وانور مراد وجلال عبد الرحمن وسامي كريم وغيرهم الكثير، وكل هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ناهيك بان هناك اسماء لامعة في مجال القضاء والمحاماة والهندسة والطب وغيرها من التخصصات.